

جرائم في فرنسا ضد الشعب الجزائري

أ. سعيدي بزيان

في سلسلة " باسم الذاكرة " Au Nom de la Mémoire التي يشرف عليها الأديب والكاتب الجزائري مهدي العلوي، صدر في باريس كتاب " صمت النهر Le Silence du Fleuve للكاتبة الفرنسية" أن تريستان " Anne Tristan". يكشف عن جرائم مريس بابون ضد الوطنيين الجزائريين في فرنسا وتروي فيه الكاتبة قصصا مؤلمة عن جرائم الشرطة الفرنسية ضد الوطنيين الجزائريين خلال مظاهرة 17 أكتوبر 1961 التي سار فيها الوطنيون الجزائريون في شوارع باريس الرئيسية مثل "سان ميشال" و"سان جيرمان" و"ساحة الأوبرا"، و"بون نوقال" و"ساحة النجمة" و"نوي سورسان" وقد انتظمت هذه المظاهرة السلمية من طرف الوطنيين الجزائريين تلبية لطلب " اتحادية جبهة التحرير بفرنسا " أو ما يسمى بـ " La Federation de France " التي تولت تأطير العمال الجزائريين في المهجر خلال حرب التحرير 54 -62 والغرض من هذه المظاهرة هو الرد على قوانين وزير الداخلية الفرنسية روجي فري ومحافظ شرطة باريس بابون السيئ الذكر الذي أطبق الخناق على المناضلين الجزائريين في فرنسا وفرض عليهم قانون حضر التجول ليلا ابتداء من الساعة الثامنة والنصف ليلا إلى الخامسة والنصف صباحا. وقد شمل هذا الحظر مطاعم ومقاهي الجزائريين التي فرض عليها ابتداء من الساعة السابعة والنصف ليلا.

والهدف الأساسي لقوانين روجي فري، وفي خط محافظ شرطته مورييس بابون هو تضيق الخناق على تحركات الوطنيين خارج الجزائر حتى لا يلتحم وطينو الخارج بوطني الداخل وكان حصاد أيام 17- 18- 19- 20 أكتوبر 1961 هو قتل أكثر من 300 شهيد جزائري من طرف الشرطة الفرنسية وجل هؤلاء الشهداء تم رميهم في نهر السين - وبعضهم مات على أرصفة شوارع باريس بالرصاص والهرافات الغليظة والبعض الآخر تم التخلص منه داخل محافظات ومركز الشرطة وذلك بعد التعذيب بوسائل جهنمية.

إن اختيار الكاتبة أن تريستان عنوان " صمت النهر " لكتابها هو اختيار موفق يوحي لقارئ هذا الكتاب "صمت نهر السين " عن جثث الجزائريين التي ظلت تطفو على ضفافه الأيام عديدة و النهر صامت " لا يبوح بأسراره عما جرى في هذه الأيام التاريخية من حياة نضال شعبنا في الهجر " وقد اختار الكاتب الجزائري مهدي العلوي عنوان " صمت النهر " " Le Silence du Fleuve " عنوانا لفيلمه الذي شاهده آلاف من الفرنسيين و الجزائريين، وكان شهادة حية عن جرائم بابون -وروجي فري.

متى نكتب تاريخ هذه الأيام السوداء ؟

كم نتحدث وتحدثنا ونتحدث يوميا عن كتابة تاريخ الثورة، ولم نتساءل أبدا عن المصادر والوثائق التي نسترشد بها عن كتابة تاريخ الثورة -فالذي أعرفه أنه لا يوجد لنا كتاب واحد عن مظاهرات 17 أكتوبر 1961 باستثناء كتيب يتضمن شهادات حية لأناس عاشوا هذا اليوم فأدلو بشهاداتهم ولا يوجد هذا الكتيب في المكتبات الجزائرية وقد قدمته شخصيا في مجلة "نوفمبر" كما تحدثت عنه جريدة "الشعب" حين صدوره 1986.

-17 أكتوبر في مؤلفات الفرنسيين :

في نوفمبر 1961 أي بعد شهر واحد على جرائم موريس بابون ظهر كتاب في فرنسا بعنوان "Ratonnades a Paris".

ومؤلفة الكتاب هي بوليت بيجو "Paulette Pégu" وكان هذا الكتاب يتناول سريريا كما يقول الفرنسيون "تحت المعطف" "Sous le Manteau" ثم أعقبه فيلم جاك بانيجيل "Jacques Panigel" بعنوان "أكتوبر في باريس" وكان هذا الفيلم شهادة من أناس نجوا بأنفسهم من مجازر موريس بابون.

وقد صودر هذا الفيلم من طرف السلطات الفرنسية وظل ممنوعاً عرضه لمدة 10 سنوات كاملة. وقد قام جان دولير "Jean Delire" بتصوير فيلم خاص لإذاعة وتلفزة بلجيكا، وقد ضاع هذا الفيلم واختفى في ظروف غامضة. ولاحظ كتاب: "صمت النهر" لأن تريستان إختفاء ملف مظاهرات 17 أكتوبر 61 في المعرض الذي نظمته "وكالة الأنباء الفرنسية" حول حرب الجزائر في فرنسا " La Guerre d'Algérie en France " وكان أهم كتاب حول مظاهرات 17 أكتوبر 1961 هو الكتاب الذي أصدره ميشال لوفين بعنوان: " Les Ratonnades d'Octobre " وقد صدر هذا الكتاب سنة 1987 ثم أصدر جان لوك إينولي " معركة باريس " " La Bataille de Paris ".

"1961 Octobre" منشورات سوي

ويبقى كتاب " صمت النهر " " Le Silence du Fleuve " لأن تريستان، له طابعه الخاص فقد صدر عن " جمعية باسم الذاكرة التي أسسها شباب معظمهم من أصول جزائرية يتصدرهم الأستاذ والباحث مهدي العلوي المعروف بنشاطه الثقافي المتعدد. " وجمعية باسم الذاكرة " ما انفكت تطالب السلطات الفرنسية بفتح ملف مظاهرة 17 أكتوبر 1961 وما وقع في هذا اليوم من جرائم ضد الوطنيين الجزائريين في باريس.

تروي أن تريستان في هذا الكتاب أنه في إحدى ضواحي باريس وفي مبنى "Pavillon" تم دفن بعض الجزائريين من طرف السكان داخل حديقة المبنى ولم يسأل أحد عن هؤلاء الموتى ولا يعرف أحد أسماءهم ،وقد التزم هؤلاء السكان الصمت، ولايعرف أبنائهم شيئاً عما جرى ولعل أبنائهم يسيرون فوق مقابر هؤلاء وهم لا يدرون.

ويذكر مهدي العلوي أن هناك جثثا للجزائريين لا يعرف احد هويتهم تم دفنهم في مقابر المسلمين في "تياي" "Thiais" وجثث أخرى فقدت ولا يعرف احد مصيرها وإذا سئلت فرمسا اليوم من الذي مات فيه 8 فرنسيين إثر مظاهرة ضد المنظمة السرية "OAS" يذكر الفرنسيون موتاهم وإن قل عددهم ولا يذكرون موتانا وإن كثر عددهم ،وهل نذكرهم ونحن وهل نذكر باقالة جان ماري لوبان وهو يتحدث عن غضب الجيل الثاني من أبناء الجزائر من سكان الضواحي عندما قال : "إن الحل الوحيد لمشاكل هؤلاء هو أكتوبر جديد " أي 17 أكتوبر آخر إشارة إلى أكتوبر 1961 الذي تمت فيه تصفية أكثر من 300 جزائري وعدد آخر من المفقودين ومئات من الجزائريين تم تسفيرهم إلى الجزائر وجل هؤلاء تم اعتقالهم بمجرد وصولهم إلى قراهم ومداشرهم ونالهم العذاب و التعذيب.

- بابون ي دشّن عهد الإرهاب :

تم تعيين المجرم موريس بابون محافظا لشرطة باريس مارس 1958 وذلك تقديرا للكفاءة التي أبدّاها في محاربة الجزائريين في الجزائر، وقد اكتسب خبرة ميدانية أهّلته لأن يقود حملة شرسة ضد الوطنيين الجزائريين في فرنسا - وقد أسس لهذا الغرض مصلحة خاصة لشؤون الجزائر تضم الشرطة البلدية ومصالح الاستعلامات الخاصة وقد تلقى رجال الشرطة تعليمات خاصة تتعلق بضرورة تعلم وسائل مكافحة " جبهة التحرير "، وشكل موريس بابون لهذا الغرض فرقة خاصة من الجزائريين " الحركة " لإسناد ومساعدة مصالح الأمن المتعددة - وكان هؤلاء " الحركة " قد تلقوا تدريبات خاصة وقد زرع هؤلاء في ضواحي باريس " البيوت القصديرية " وفي باريس الدائرة 13 وبالأخص الدائرة 18 حيث يتجمع الآلاف من الجزائريين في حي بارباس "Barbes" ومهمة هؤلاء " الحركة " رصد حركة الوطنيين الجزائريين وإلقاء القبض عليهم وتعذيبهم - وقد تفنّن هؤلاء الحركة في تعذيب "إخوانهم" الوطنيين الجزائريين وقتلهم وكانت نشریات " حقيقة -حرية -Verité" "Liberté" وشهادات ووثائق وهي نشریات سرية نبهت الرأي العام الفرنسي لأول مرة حول التعذيب الذي تمارسه السلطات الاستعمارية ضد الوطنيين الجزائريين وقد ساهم المناضل الحر

فرانسوا ماسبيرو بنشر ملف حول التعذيب ضد الجزائريين في فرنسا - ولاحظ في هذا الملف أن " الحركة " لهم دور أساسي في مسلسل التعذيب ضد الجزائريين - وأن السلطات الفرنسية تلتزم الصمت إزاء جرائم هؤلاء بل هي وراء جرائمهم " إذا كان العدو كالسماك يعيش وسط الشهب فلنفرغ هذا الماء ليموت السمك .

كانت هذه مقولة المختصين الفرنسيين في شؤون مقاومة الجزائريين الذين يرون أنه لتجفيف ينابيع مساعدة الثورة الجزائرية داخل فرنسا فليكن ذلك بواسطة محاصرة الوطنيين وشل تحركاتهم ليلا لان الليل هو بداية تحركات الوطنيين - وفي المقاهي ليلا يتم تجمع وجمع اشتراكاتهم لمساعدة الثورة - إذا كانوا كل شهر يساهمون بـ 500 مليون فرنك فرنسي قديم " نصف مليار قديم " ويقول المناضل عبسي سعد الذي كان مسؤولا في تنظيم " جبهة التحرير " بفرنسا أنه حصل في يوم من الأيام أن ألقى القبض على مناضل من مناضلينا ومعه 60 مليون سنتيم وهو مبلغ جمعه المناضلون فائدة الثورة الجزائرية وقد صودر منه هذا المبلغ - ولكن ما أن مرت 36 ساعة حتى استطعنا أن نعيد جمع هذا المبلغ بالتمام و الكمال - ورغم كل هذا الإرهاب ضد الوطنيين ومصادرة أموال الجبهة فإن تنظيم الجبهة لم يتوقف أبدا - وكان شعار الوطنيين الجزائريين في فرنسا يومئذ " إذا مات منا سيد قام سيد " .

17 أكتوبر: الثامنة ليلا

كان الفرنسيون يزرعون شوارع باريس الرئيسية كالمعتاد ولم يدر بخاطرهم أن يشاهدوا جمعا عارما من الجزائريين رجالا ونساء وأطفالا حاملين لافتات كتب عليها: "الجزائر الجزائرية" جبهة التحرير في السلطة "العنصريون إلى المشنقة" وقدرت بعض المصادر عدد الجزائريين الذين تظاهروا في شوارع باريس الرئيسية:

"سان ميشال" "ساحة الاوبيرا" "بون نوفال" "ريشيليو" و"ساحة النجمة" "بالقرب من الشانزليزي وشوارع أخرى، بـ30 ألف نسمة -وقد فوجئ الإعلام الفرنسي هو الآخر بهذه المظاهرات وإن اتخذ منها موقفا معاديا إلا فيما ندر أي باستثناء الصحف اليسارية كجريدتي ك "لومانيتي" الشيوعية و"ليبيراسيون" الاشتراكية !!.

أما "لوباريزيان ليبيري" و"فرانس سوار" و"لورور" فهي صحف يمينية يغلب عليها اتجاه منظمة الجيش السري "OAS" المعادية لاستقلال الجزائر، وإن قراءة مختصرة لما كتبه هذه الصحف عن مظاهرات 17 أكتوبر وما تلاها يعطي لنا صورة حقيقية عن موقف هذه الصحف من نضال الجزائريين في المهجر. تقول جريدة "لوباريزيان ليبيري" "Le Parisien Libéré" هناك ألفان من أهالي شمال إفريقيا يرتدون ملابس محترمة تجمعوا وسرعان ما ألقى عليهم

القبض من طرف قوات الأمن و500 منهم اقتيدوا إلى ساحة الاوبيرا وأيديهم مرفوعة إلى السماء وهناك شاحنات للشرطة تنتظر نقلهم إلى " فانسان " للتدقيق في هويتهم وقد سككت الصحيفة عن استعمال القمع من طرف رجال الشرطة ضد المتظاهرين الجزائريين -ورغم القمع و لعنف من طرف رجال الشرطة فإن المتظاهرين الجزائريين أخذوا يتدفقون على شوارع " الأوبيرا " و"بون نوفال" و"ريشيلودوو"، وتقول "فرانس سوار" في هذه الأثناء تم اعتقال الميئات من المتظاهرين الجزائريين ،وقد نقل هؤلاء في شاحنات سوداء متجهة بهم إلى مراكز الفرز والتدقيق والتحقيق .وتريد صحيفة "لورور" هذه الصحيفة المعروفة بعدائها للجزائر والجزائريين أن تلقي تبعية اندلاع العنف في هذه المظاهرة على الجزائريين حيث تقول :إن رجلا من جبهة التحرير " هو الذي بادر إلى إطلاق النار أثناء هذه المظاهرة مع العلم أن التعليمات التي أعطتها قيادة جبهة التحرير بفرنسا" لمناضليها قبل اندلاع هذه المظاهرات -ألا يحمل أي مناضل سكيئا أو سلاحا أو ما من شأنه أن تشتم منه رائحة العنف ،فالمظاهرة سلمية وتتم بوسائل سلمية : " لافتات " وترديد شعارات ضد العنصرية ومن اجل الجزائر المستقلة " .أما صحيفة " لومانيتي "L'Humanité" لسان الحزب الشيوعي الفرنسي فتذكر من خلال صحافيتها أنه في 17 أكتوبر وعلى الساعة العاشرة ليلا أغلقت الشوارع الرئيسية في وجه المارة في حين تلاحظ جثث المتظاهرين

الجزائريين تغطي أرصفة الشوارع وقريبا منه مخرج المترو شوهد
جزائري منبطح على الأرض بعد أن اغتيل بطرق وحشية. وصور
أخرى احتواها كتاب "صمت النهر" لشهداء جزائريين على أرصفة
شوارع باريس، شاهدة على بربرية الاستعمار الفرنسي.